المحاضرة الثامنة

الثورة الصناعية

تطور الاقتصاد الأوروبي من اقتصاد اقطاعي الى رأسمالية تجارية، ولكن الرأسمالية لم تجمد عند هذه الحالة، بل تطورت حتى وصلت في القرن الثامن عشر الى الرأسمالية الصناعية، وأهم حدث ارتبط بهذا التطور هو ظهور الثورة الصناعية.

أولا: تعريف الثورة الصناعية

كانت بريطانيا أسبق دول أوروبا جميعا في ميدان الصناعة وذلك لمجموعة من الأسباب الأساسية، على غرار توفير الحريات السياسية التي تكفل للأفراد التمتع بحقوقهم كاملة في ميادين العمل والتجارة، واتساع تجارة بريطانيا الخارجية مما أدى إلى اتساع السوق أمام منتجاتها ومدها بالمواد الخام والمواد الغذائية من العالم الخارجي، بالإضافة الى الاستقرار السياسي والعامل السكاني.

ويمكن تعريف الثورة الصناعية على أنها هي تلك **الحركة الضخمة من الاختراعات التي ظهرت في منتصف القرن الثامن عشر والتي أدت الى تغيير الفن الإنتاجي بإحلال الآلات محل الأدوات التي كانت مستعملة من قبل في الإنتاج.**

بدأت حركة الاختراعات بظهور ما يعرف باسم **الأداة الآلية** لتي يديرها العامل بقوة دراعه لكي تقوم هي بدلا منه بالعمليات الصناعية، ثم ظهرت بعد ذلك المخترعات في نطاق القوة المحركة، فبعد أن كان يعتمد في هذا الشأن على قوة الريح في إدارة الأجهزة، ثم على قوة الماء مما كان يستتبع تأسيس المصانع بالقرب من الأنهار، اختراع جهاز توليد القوة بالبخار، واستخدم في إدارة آلات المصانع، وقد ترتب على هذه الاختراعات أن زادت القوة الإنتاجية للمصانع زيادة كبيرة، بحيث أصبحت تنتج كميات كبيرة من السلع، وقد أخدت هذه المخترعات تغزو فروع الإنتاج المختلفة، كذلك ترتب على تطبيقها انتشارها في فروع مختلفة.

ثانيا: عوامل قيام الثورة الصناعية

يمكن تلخيص أهم العوامل التي أدت الى ظهور الثورة الصناعية في:

1-التزايد السكاني:

في النصف الثاني من القرن الثامن عشر أدى الانخفاض في معدل الوافيات إلى زيادة ديمغرافية، وهذه الزيادة الديمغرافية كانت الصناعة في حاجة لها من جانبين، أولها توافر اليد العاملة لسد طلبات الصناعة، ثم زيادة الاختراعات والتقدم الفني الصناعي، ثانيهما زيادة الطلب على المنتجات وتنويعها مما شجع البحث العلمي وزيادة التقدم الصناعي.

2-اتساع التجارة الأوربية الداخلية والخارجية: وقد أدى إلى ذلك:

-الكشوفات الجغرافية وتوسع السوق العالمي.

-التقدم في وسائل النقل البحرية.

-التقدم في وسائل النقل البرية.

-تراكم رؤوس الأموال في يد التجار والصناع الأوربيون.

3-توافر رؤوس الأموال:

أدى إلى تمويل المخترعات والأبحاث والاستمرار في توسيع المشروعات الصناعية وإنتاج السلع الإنتاجية، وقد لجأت بعض الحكومات الأوربية التي لا تتوافر لها رؤوس أموال كبيرة في إتباع سياسات مختلفة لتوفير رؤوس الأموال اللازمة للصناعة منها:

-إقراض بعض الصناعات والاشتراك في البعض الآخر.

-إعادة تقييم العملة بفرض زيادة عرض النقود وحل مشكلة ندرة رأس المال.

-زيادة الادخار الإجباري.

-قيام الشركات المساهمة التي استطاعت أن تجمع المدخرات وتوجيهها للصناعة في شكل القروض.

-قيام البنوك بنفس العملية كذلك لعب دورا رئيسا في تمويل المشاريع.

4-سياسة الحرية الاقتصادية:

في الفترة الممهدة لقيام الثورة الصناعة بدأت الأفكار الفلسفية والاقتصادية تتجه نحو رفع شعارات حرية العمل، حرية الإنتاج وحرية الاستهلاك، وكان رائد هذا الفكر آدم سميث وريكاردو وخاصة في بريطانيا مما جعلها تترك الحرية والباب مفتوحا للأفراد للدخول في ميادين الإنتاج المختلفة على عكس ما نادى به أصحاب المدرسة التجارية، كذلك اتبعت الحكومات سياسة تخفيض الضرائب على رؤوس الأموال الموظفة في الصناعة وتحمي حقوق الاختراع.

ثالثا: نتائج الثورة الصناعية

يمكن تخليص أهم نتائج الثورة الصناعية في:

1- ارتفاع مستوى المعيشة وتحسن الإنتاج كما وكيفا:

توفرت فرص العمل للعمال في عدد من المناطق خاصة في الولايات المتحدة، إذ كانت الأجور مرتفعة، أما في أوربا فكان معدل الأجور ضعيف جدا وخاصة في بريطانيا نظرا لرجال الأعمال الذين كانوا يسعون لتحقيق أرباح عالية، كما زادت كمية الإنتاج وتحست نوعيتها.

2- ضخامة رؤوس الأموال التي توظف في قطاع الصناعة:

أصبحت هذه المصانع مركزا مغريا للاستثمارات، فجدبت الكثير من رؤوس الأموال اليها، ومن هنا سميت هذه المرحلة بالرأسمالية الصناعية نظرا لضخامة رؤوس الأموال التي توظف في الصناعة، وقد أتت هذه الأموال من مصادر مختلفة، من التجارة ومن البنوك التي أسست للإقراض.

3-زيادة الثروة القومية:

نتيجة للثورة الصناعية أصبحت دول أوربا الصناعية تتمتع بمقدرة إنتاجية عالية، فازدادت الأرباح وتضاعفت الدخول، كما حققت الدول زيادة كبيرة في إيراداتها من الضرائب وغيرها، إذ أصبحت ميزانيتها ذات أهمية كبيرة للتأثير على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية.

4-زيادة أهمية دوررؤوس الأموال:

أدت الثورة الصناعية إلى فتح المجال واسعا أمام أصحاب رؤوس الأموال أن يسيطروا على المجال السياسي وعلى الأوضاع الاقتصادية عامة، سواء محلية أو خارجية.

5-تغيرفي طبيعة النظام وظهورالتناقضات:

طبيعة النظام في حد ذاتها قد تغيرت، ففي ظل الرأسمالية التجارية انت التجارة هي النشاط الأساسي في النظام، وكانت الصناعة قائمة لخدمة التجارة، أما في الرأسمالية الصناعية أصبحت الصناعة تحتل المركز الرئيسي، لأنها أصبحت هي تحكم النشاط الاقتصادي، نظرا للكميات التي تنتجها من السلع، كان لابد من البحث عن أسواق لتصريفها في الداخل والخارج، وهذا ما كانت تقوم به التجارة، وهكذا أصبحت التجارة في خدمة الصناعة، والأثر الذي يترتب على ذلك ي النطاق الاجتماعي هو تغيير مركز الأهمية الاجتماعي، اذ أصبح رجل الصناعة هو الشخصية الرئيسية في النظام كله بعد أن كانت هذه الأهمية للتاجر، كما كان من نتائجها تأكد الانفصال التام بين طبقة أصحاب رؤوس الأموال والمشروعات وطبقة العمال الذين يعيشون على بيع مجهوداتهم كسلعة من السلع، وظهور مشكلة البطالة، حيص أن الآلات التي اخترعه مكنت من زيادة الإنتاج مع تقليل عدد العمال.

المحاضرة التاسعة

النظام الاشتراكي

يعتبر النظام الاشتراكي من النظم الاقتصادية الحديثة نسبيا، فقد عرف هذا النظام بعد ظهور النظام الرأسمالي وتطوره، وسيطرة الرأسمالية على جميع أدوات الإنتاج، وعلى جميع المجالات الاقتصادية.

أولا: تعريف النظام الاشتراكي

لفظ الاشتراكية من الالفاظ التي يستخدمها السياسيون والاقتصاديون للتعبير على كثير من المعاني المختلفة، فهو يطلق أحيانا على مجرد تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي بأية صورة من الصور فتكون الاشتراكية بذلك نقيضا لسياسة الحرية الاقتصادية، كما يستعمل أحيانا للدلالة على تدخل الدولة لتحسين حالة لعمال والطبقات الفقيرة، بسن تشريعات اجتماعية اشتراكية تخفف عنهم وتمنحهم بعض المزايا.

لكن المعنى العلمي الدقيق لكلمة الاشتراكية هي أنها النظام الذي يتميز بتملك الدولة للأموال (الملكية الجماعية)، خاصة أموال الإنتاج كالراضي والآلات والمصانع، فهي بذلك نظام يختلف كل الاختلاف عن الرأسمالية التي تقوم على مبدأ حرية تملك الأفراد لكافة أنواع الأموال.

كان النظام الاقتصادي والسياسي السائد في روسيا قبل الثورة أكتوبر 1917 نظاما رأسماليا إقطاعيا، ولكن بعد الثورة أخذ تطبيق السياسة الاشتراكية، ولأول مرة في العالم فأخذت تؤمم الصناعات والمصارف ووسائل النقل والأراضي وفرض الاحتكار على التجارة الخارجية وإقامة الصناعة الثقيلة، ومنذ ذلك التاريخ ظهر اتجاهان:

الأول هي الاشتراكية الوطنية التي تمثل حركة الدولة ترمي إلى إقامة دكتاتورية الطبقة العاملة تحت زعامة الحزب الشيوعي الوطني للوصول بكافة المجتمعات إلى مرحلة الشيوعية كما أشار إلى ذلك" ماركس."

الثاني الذي تمثل في جميع الاتجاهات الاشتراكية والتعاونية في العالم وهذه الاتجاهات تستفيد من كافة الكتابات الاشتراكية، ولكنها لا تلتزم بأي منها، بل تأخذ منها ما يتلاءم وظروفها الخاصة، كما تضيف إليها ما يحقق لها اغراضها التطورية.

ثانيا: أنواع الاشتراكية

يفرق المؤرخون بين نوعين من الاشتراكية، الاشتراكية الخيالية والاشتراكية العلمية أو الماركسية، فقبل كارل ماركس، لم يكن الداعون للاشتراكية يؤسسون دفاعهم عنها على المنطق والتحليل والدراسة، بل كانوا يتأثرون عاطفيا بمساوئ النظم الاجتماعية والاقتصادية السائدة، فيحاولون بأحلامهم وخيالاتهم تصوير عالم اشتراكي تنعدم فيه هذه المساوئ، ويعتمدون على اقناع الافراد بإقامة هذا العالم عن طريق سن تشريعات وقوانين وتنظيمات، وقد سمى كارل ماركس نظريته باسم الاشتراكية العلمية تمييزا لها عن الاشتراكية الخيالية، لأنه حاول عن طريق التحليل العلمي، أن يظهر أن النظام الرأسمالي سيزول نتيجة للتطور التاريخي، وستحل محله الاشتراكية.

وجدت الاشتراكية الخيالية على مر العصور، فقد حاول الانسان مند العصور القديمة تصور مجتمع أفضل من المجتمع الواقعي بما فيه من فقر وقسوة، وكان بعض المفكرين ينظرون للاشتراكية على أنها نظام الذي ينقل الناس الى مجتمع أفضل وأكثر رخاء، وقد تعددت الصور التي اقترحها المفكرون للاشتراكية، وفي بعض الأحوال كانت تخرج هذه المقترحات الى حيز التجارب العلمية.

رأينا كيف نظر بعض الشراح الى جمهورية أفلاطون على أنها صورة لمجتمع اشتراكي، ولكن جمهورية أفلاطون لم توضع أبدا موضع التنفيذ العملي، من التجارب التي وضعت موضع التنفيذ المستعمرة التي أقامها الإنجليزي روبرت أوين (1771-1858 في قرية أمريكية بولاية انديانا، والتي أسسها على قواعد اشتراكية من حيث الملكية والعمل لجماعيان، وتوزيع الناتج الكلي بين الأعضاء، ولكنها انتهت بالإخفاق.

يعتبر كارل ماركس أول من وصف اشتراكيته بأنها علمية، لكي يبين أنها تقوم على تحليل علمي بخلاف الاشتراكية الخيالية، وخلاصة تحليله أن النظام الرأسمالي لا بد أن ينتهي به الأمر الى الفناء طبقا لقوانين التطور التاريخي العام، لأن منطلق هذا النظام نفسه يؤدي الى وجود عوامل وقوى متناقضة تعمل داخله، ويؤدي تناقضها الى القضاء عليه في النهاية، وقيام الاشتراكية.

ثالثا: التحليل الاقتصادي والفلسفي الذي بنيت عليه الاشتراكية الماركسية

لقد بنى كارل ماركس على ناحيتين أساسيتين من التحليل: الأولى فلسفية اجتماعية، والثانية اقتصادية، ولكنه ربط بين الناحيتين ربطا كبيرا حتى كان منهما بناء واحد:

1-التحليل الفلسفي:

من الناحية الفلسفية لتحليل ماركس فتقوم على نظريتين: نظرية التطور الديالكتيكي التي فسر بهما تطور الفكر الانساني، ونظرية التفسير المادي للتاريخ، ففي رأيه أن أي فكرة عندما توجد تحمل في طياتها بدور فنائها وزوالها، لأنها لا تتسم بالكمال المطلق، ومن هنا يقوم حتما نقضها الذي ينفيها ويظهر نقيضها، وهذا النقيض نفسه فكرة يحمل في طياته بدور فناءه، لذلك تتولد من تصادم النقيض بالفكرة الأولى فكرة جديدة هي نقيض النقيض، وهكذا.

2-التحليل الاقتصادي:

الجانب الاقتصادي في تحليل ماركس فينصب كله على توضيح كيف تؤدي القوى الاقتصادية الكامنة في النظام الرأسمالي الى القضاء عليه، ولذلك فان أبحاث ماركس تعتبر دراسة لسير التطور في الرأسمالية:

-قيمة العمل وفائض القيمة: نقطة البدء عند ماركس هي نظرية قيمة العمل التي أخدها من المدرسة الكلاسيكية الإنجليزية، وبالذات من ريكاردو، فعند ماركس تتحدد قيمة أي سلعة بعدد ساعات العمل التي بدلت في صنعها، فأساس القيمة ومصدرها اذن هو العمل،

-تراكم رؤوس الأموال: هذه الأرباح التي تتأتى للرأسمالين أكبر جزء منها في إقامة رؤوس الأموال المنتجة من آلات ومصانع، ويفسر ذلك بأن نفسية الرأسماليين تدفعهم دائما الى اجراء هذه الاستثمارات وتوظيفهم أرباحهم بهذه الطريقة حتى يشبعوا ميلهم لزيادة الإنتاج.

-**تركزرؤوس الأموال:** لما كانت المشروعات الكبيرة تستطيع أن تبيع منتجاتها بأثمان أرخص مما تبيعها به المشروعات الصغيرة، فإنها تستطيع أن تستبعد هذه المشروعات الصغيرة من المنافسة، وبهذا يزول صغار الرأسماليين من مضمار الإنتاج،

-**الجيش الاحتياطي الصناعي:** بسبب إحلال الآلات محل اليد العاملة، تكون هناك بطالة للعمال تؤثر على سير النظام، لأنه كلما طالب العمال زيادة أجورهم، هددهم الرأسماليون بأن يحلو محلهم عمالا من الجيش الاحتياطي الصناعي، وهكذا يقبل العمال الأجور المنخفضة.

-**مآل الرسمالية:**

تميل الرأسمالية في تطورها طبقا لآراء ماركس الى تكوين انقسام المجمع الى طبقتين، رأسمالية قليلة العدد تتركز بين أيديهم رؤوس الأموال، وعمال يكونون الغالبية العظمى للسكان ويعيشون على بيع قوتهم العاملة، وتستغل الطبقة الأولى الطبقة الثانية طبقا لماركس، ويرتبط هذا الاستلال ببؤس العمال، وينشأ من كل ذلك شعور طبقي لدى العمال نتيجة الاستغلال، وينتهي الأمر أن يثور العمال وينتزعون ملكية رؤوس الأموال من الرأسماليين، وينتقل المجتمع الى مرحلة الاشتراكية.

رابعا: نقد الاشتراكية الماركسية

- تقوم كل النظرية الماركسية على نظرية قيمة العمل، التي من مقتضاها أن قيمة أي سلعة انما تتحدد على أساس ساعات العمل اللازمة لإنتاجها، ولا يمكن التسليم بصحة النظرية، لان عنصر العمل ليس العنصر الوحيد للإنتاج.

-يقر ماركس أن الأجور في النظام الرأسمالي تتحدد عند مستوى لازم للحصول على ضروريات الحياة، وأن اتجاهها يكون نحو الانخفاض، والواقع أن الشواهد لا تؤيد هذه النظرة، نظرا لارتفاع الأجور في العصر الحديث، كما ان الأجور ترتبط بإنتاجية العامل.

-كتب ماركس نظريته في حين كانت الرأسمالية تتبع سياسة الحرية الاقتصادية شبه مطلقة، فلم يكن هناك تدخل من جانب الدولة لإصلاح مساوئ النظام، ولكن الحال تغيرت الآن، فتدخلت الحكومات بكافة الإجراءات لمعالجة المساوئ الاقتصادية والاجتماعية للرأسمالية.

-طبقا لماركس لا يصل التطور الى الاشتراكية الا بعد أن يكون الاقتصاد مر بالرأسمالية الصناعية، والحقيقة غير ذلك فروسيا والصين الشعبية عند تبني الاشتراكية كنظام كانتا بعيدتين كل البعد عن الرأسمالية الصناعية، حيث كانتا دولتين اقطاعيتين.
-لم يطبق ماركس نظرية التطور على الاشتراكية، فاذا كان هذا التطور قانونا اجتماعيا عاما، لماذا لا ينطبق على الاشتراكية نفسها.

خامسا: أسس وخصائص النظام الاقتصادي الاشتراكي

للنظام الاقتصادي الاشتراكي عدة أسس وخصائص نجمعها فيما يلي:
-الملكية الجماعية لوسائل الإنتاج: أي أن وسائل الإنتاج ملك للمجتمع وليس ملك الفرد، الملكية الفردية في النظام الاشتراكي تكاد تنحصر في أشياء بسيطة مثل السلع الاستهلاكية، وتأخذ الملكية الجماعية لوسائل الإنتاج إحدى صورتين فهي إما ملكية الدولة وهي الصورة الأكثر شيوعا في التطبيقات الاشتراكي، واما في صورة الجمعيات التعاونية، حيث تنشأ جمعيات تعاونية لملك الأراضي، أو الصناعات الصغيرة، فمثلا تكون هناك جمعيات تضم كل واحدة منها مجموعة من الفلاحين لتملك مساحة من الأراضي الزراعية.
-جهاز التخطيط هو الذي يخصص الموارد: يعتمد النظام الاشتراكي على جهاز التخطيط المركزي بدلا من جهاز الأثمان (نظام السوق) الذي تعتمد عليه الرأسمالية، والتخطيط المركزي في النظام الاشتراكي يعني تنظيم جميع النشاطات، يتم تنظيم الإنتاج في النظام الاشتراكي من حيث كمية السلع المراد إنتاجها وأنواعها والموارد التي تستخدم في ذلك عن طريق جهاز التخطيط المركزي، الذي يعد الجهة الوحيدة لتحديد العرض والطلب في ظل ذلك النظام.
-زوال المنافسة التجارية: أي القضاء على المنافسة الفردية وخلق منافسة من نوع آخر وهي -المنافسة بين الأفراد والمؤسسات في زيادة الإنتاج وتحسينه كما ونوعا.
-إشباع الحاجات الجماعية (كل حسب طاقته وكل حسب حاجته): حيث يقدم كل فرد خدمات إلى المجتمع بحسب طاقته، وفي المقابل يتسلم الفرد من المجتمع بحسب حاجته.

سادسا: عيوب النظام الاقتصادي الاشتراكي

-انعدام الحرية الفردية: فقد الفرد حريته في اختيار النشاط الاقتصادي وفي التملك، وفي اختيار السلع والخدمات التي يستهلكها وأصبحت كل هذه الأشياء تقرر من قبل الجهاز المركزي للتخطيط.

-انخفاض إنتاجية العامل: نتيجة إهمال الحوافز المادية إذ من غير المتوقع أن يبذل الفرد بصفته أجيرا عند الدولة قصارى جهده من أجل زيادة الإنتاج وتخفيض التكاليف.

- خلق البيروقراطية: إن مبدأ المركزية يضفي على العملية التخطيطية درجة عالية من عدم المرونة والبيروقراطية، وهذا يؤدي بدوره لتدني مستويات الإنتاجية.

-عدم كفاءة أسلوب التخطيط المركزي لإدارة الاقتصاد القومي: تؤدي مركزية التخطيط لعدم قدرة الاقتصاد على مواجهة التغيرات الطارئة في الحياة الاقتصادية وخاصة التي يصعب التنبؤ بها بمواجهة سريعة وفاعلة